المجلة التونسية للدراسات الفلسفية - عدد 42-43 - السنة 2007 : 78-91

في "العدمية" وما بعد : بين التأسيس النيتشوي والتجاوز الفوكووي

بشير المؤدب*

توطئة :الأصول التاريخية والفلسفة :

في السنوات ما بين 1887-1888 عندما كان التطور الصناعي للمجتمع في تسارع مشهود تحت دفع العقل العلمي الذي يستتبعه تقدم في الأخلاقية والثقافة يطلق نيتشه صيحة فزع.

«إنّ ما أرويه هو تاريخ القرنين القادمين، إني أصف لكم ما سيأتي وما هو آت حتما ألا وهو العدمية».

إن المأساة التي تنبأ بها نيتشه الفيلسوف قد حصلت فعلا. لقد شدّد آلبير كامو فيلسوف العبث على علاقة العدمية بالتمرّد وهو ما بنّه إليه نيتشه بقوله مترجما «الإله قد مات» عن الوعي المفاجئ بأنّ أسس المسيحية قد تزعزعت وأنّ نظام القيم برمته قد اختل.

فالعدمية هي الاعتقاد في افتقار كلّ القيم إلى أساس وأنّ لا شيء قابل للمعرفة أو التواصل وهي عبارة تقترن عادة بالتشاؤم المتطرف والحرية المتجذرة التي تقضي بإعدام الموجود. فالعدمية الحقة(1) يجب أن تعتقد حصرا في العدم ولا تفترض شيئا آخر غيره ولربما كانت مسكونة بهاجس الدفع إلى الهدم والدمار. فعندما يزعم بعض فلاسفة «العدمية» فإن ذلك عادة ما يقترن بنيتشه الذي وضع نتائجها الهدامة على صعيد الأخلاق والدين والاعتقادات الميتافيزيقية والتي تلحق بالبشرية وبالتاريخ أعمق الأزمات.

فالذي يجب أن نعرفه خاصة هو أن روح التمرّد والثورة والأخلاقية والقتل المبرّر والتحديات التي يشهدها العالم لا يأخذ وقعه العدمي إلا بداية من نهاية القرن 18، فالعدمية في مبدئها ظاهرة حداثية... وبدأت العدمية تتبلور بوضوح مع المفكرين والثوريين الروس في القرن التاسع عشر قبل سقوط الحكومة القيصرية عام 1917. وهذا الصنف من العدمية يعرف باسم **العدمية السياسية**.

فالعدمية اصطلاح سياسي استعمله Tourgueniev الأديب الروسي في روايته : «الأبناء والآباء» Peres et fils (سنة 1862) لتشخيص الإنسان الجديد المتمثل في بطل الرواية. وقوام هذا المذهب انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية والامتناع عن الاعتراف بشرعية الضوابط القانونية

---

* أستاذ مساعد قسم الفلسفة
كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة صفاقس

1) «توجد عدمية سالبة هدامة خالصا كما توجد عدمية من حيث هي موقف إنساني وفكر رادكالي بلا تاريخ محدّد ولا بداية ولا أصل. فالعدمية ليست حدثا عارضا بل هي بنية أساسية للفكر الإنساني وتجربة أنطولوجية رئيسية».

المفروضة على الأفراد والخلفية التاريخية للمفهوم تتمثل في فشل الإصلاحات التي قام الاسكندر الثالث والمقصود بالعدمية الانطلاق من أسس جديدة على ضوء العلوم الجديدة بضرب كل المكتسبات عرض الحائط وهي مذهب يقول به الفوضويون : لا وجود لحقيقة أخلاقية مطلقة وإنكار القيم وإبطال مراتبها. (Amere victoire de Leith) ومن أشهر العدميين :

- الناقد Nicolai DOBROLIOUBOV : (1836-1861)

- Dimitri PISSAREV : (1844-1868) الذي أعلن الحرب ضد المؤسسات والثقافة السائدة

- عالم اقتصاد Nicolai TCHERNYCHEVSKY (1828-1889)

- V. G.BEILIRISKY: الذي تجرأ بالكتابة : «الإله عندي هو النفي» أي رفض كل سيادة لا تنبع من أحكام الفرد ذاته.

- والعلماء أمثال : LAVROV و KROPOTKINE

فهم جميعا ينادون بالنزعة الفردية المطلقة وتحرير الانسان من كل القيود وكل المبادئ الدينية والحكومية والأخلاق والأسرة. ويكمن وراء هذه النرجسية المتعالية والمقاتلة شبح العبثية الشمولية : لا نتحمّل الواقع لانه خلو من كل مبرر. ورغم تأثر هذه الحركة بالتيار الوضعي فانه تختلف معه في الاستتباعات. فهم يدعون إلى قلب الأوضاع : **حركة يرافقها العنف** : 1855 هزيمة Grimee، 1863 انتقاضة بولونيا بداية من 1870.

لم تعد العدمية مجرد تيّار فكري بل أصبحت مذهبا سياسيا يعمد العنف والإرهاب والاغتيال السياسي. وبما أن الأفكار (الأنتليجنسيا) لم تعد وحدها كافية لتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والتأثير على الطبقة الحاكمة فإن العدميون راموا قلب النظام بطريقة منظمة من أجل بناء عالم تعمه السعادة للجماهير فتراهم يشاركون في اغتيالات فوضوية والقمع القيصري لا يفرق بين عدميين وفوضويين. فبعد محاكمة 50 من العدميين بموسكو 1817 يردّ الإرهاب الثوري على الرعب الذي يمارسه النظام : محاكم تقضي شنقا والابعاد إلى سيبيريا من شأنها أن تفوّض الحركة الثورية. الشيء الذي دفع بالثوريين إلى المزيد من التنظيم : مؤتمر Zgierz سنة 1879 يكرّس اتجاهين : «المركزيون» (Centralistes) و«الفيديراليون».

وفي 1 مارس 1881 يسقط الكسندر الثاني الذي نجا مرتين من الاغتيال تحت قنابل R و Grimevitzki ويقوى القمع إلى حدّ طلب الهدنة إلى القيصر الجديد فيزول العنف وينحسر التنظيم وآخر تظاهرة عدمية هي محاولة اغتيال فاشلة ضد عائلة القيصر في أكتوبر 1888.

فالعدمية قد شيّدت صرح البطل الثوري نذكر يوطوبيا باكونين (1814-1876) في بناء عالم فوضوي يمجّد الحرية المطلقة ويبرر سبقا نفاق البروقراطية الكليانية التي تبحث عن شرعية لها والمعتوه في «العلم المرح» لنيتشه الذي يسخر من المارة حاملا فانوسا بيده وهو يصيح : «أنا أبحث عن الإله!» والمارة يتهمكون عليه فيصيح في وجههم متهما الجميع : «كلّنا قتلة للإله». وهو كذلك بطل عدمي. ينتهي بنا الأمر حتما إلى ثلاثية النازية التي يكشف عنها Rauschning في كتابه : «ثورة العدمية» : موت الحرية وهيمنة العنف واستعباد الفكر».

أمام خيبة أمل كهذه كيف لا نتذكر تحذير نيتشه الذي يقول فيه : «إذا لم نفعل من موت الإله التنازل الكبير والانتصار الأبدي على أنفسنا سندفع الثمن باهضا». فما تتضمنه من معاني عبارة

«الإله» في قولته «الإله قد مات»؟ يفسر لنا ذلك نيتشه : الإله هو تسمية الكائن في الفلسفة الغربية وهو ضامن للمثالية الميتافيزيقية حيث يشير الكائن إلى الواقع المعقول المشخص في الخير المطلق فوق العالم المحسوس لكن التأمل المثالي وإن هيمن تاريخيا هو والمسيحية («الأفلاطونية للشعب») فهو لم يردم الهوة القائمة بين الواقع والكائن في الفلسفة الغربية وهو ضامن للمثالية الميتافيزيقية حيث يشير الكائن إلى الواقع المعقول المشخص في الخير المطلق فوق العالم المحسوس لكن التأمل المثالي وإن هيمن تاريخيا هو والمسيحية («الأفلاطونية للشعب») فهو لم يردم الهوة القائمة بين الواقع والكائن في ذاته المطلي بكل أنواع الكمال. فالعدمية تتطابق بالذات في نظر نيتشه مع اكتشاف هذا التناقض الذي يفصح عن خطأ قاتل في التأويل. فالكائن المثال هو في الواقع أساس زائف Nihil، يضرب عرض الحائط كل القيم المتعلقة به فهو ينادي **بالعدمية الجذرية** : «العدمية الجذرية هي القناعة أن الوجود لا يطاق إذا ما قارناه بالقيم العليا التي نعرفها. فالعدمية هي الاعتراف الواعي بأن الأساس الميتافيزيقي القديم للقيم وأن الكائن الإله هو وهم وخرافة حول العدم « ويختم قوله : إذا شاء أحد الفلاسفة أن يكون عدميا فعليه أن يجد العدم خلف كل المثل العليا »(2).

فالمثالية الميتافيزيقية تقرن بين الحقيقة والخير بين القيمة المعرفية والقيمة الأخلاقية لكن العشق الصوفي للحقيقة يخفي تشدد العدم وإن الإرادة اللامشروطة للحقيقة ليست إلا خدعة مكر لغريزة الموت : قتل الحياة بسلاح المعرفة، كما حذر نيتشه من ا لتفاؤل الأخلاقي الذي تقول به الاشتراكية والذي يؤسس لهيمنة «الإنسان الأخير» هذا الطفيلي الذي ينخر الحياة تحت غطاء المجتمع المتساوي والذي يجعل من السعادة التي تراهن عليها التقنية، صنما جديدا. فالعدمية السالبة تظهر عندها لتتجاوز التحدي الذي يمثله الوعي الشفاف.

فالقيم والمثل ترتكز على الضغينة عند الضعفاء والمستعدين (المستضعفين) لذلك يقول نيتشه بقلب القيم Transvaluation des valeurs (Lumwertung des werte).

ويعارض نيتشه العلمويين (Scientistes) الذين يعيب عليهم إحلال الموضوعية العلمية محلّ الميتافيزيقا ويطلق عليهم اسم : «المثاليون المتأخرون للمعرفة» لأنهم لا يزالون يعتقدون في الحقيقة. فعلى خلاف المكتنز للمال (رأس ا لمال) وعمل سيف (البروليتاريا) إن القوة في العصر الحديث يتسع مجالها في الهيمنة. إن كل حدود جديدة تقضي إلى فتوحات جديدة. فالعدمي السالب يشتكي ويقول لماذا هذه الحدود؟ فيجيبه العدمي الجذري ضاحكا : مزيدا من الفتواحات (نيتشه) «فما هي دلالة العدمية؟ أن تفقد القيم العليا قيمتها : فالهدف يعوزنا والجواب عن السؤال غير موجود. لماذا؟» يتساءل نيتشه. لا شيء يقيس إرادة الهيمنة لأنها تهيمن على كل شيء وبما أن الإرادة هدف السيادة والسيادة على الكون فإن العدمي الفاعل ينتج لكي ينتج والمستهلك لكي يستهلك يجعلنا نحس بالإرادة كإرادة إرادة السيد الذي له أن يكون وحده السيد في العالم.

I - العدمية بين «فوضى القيم» (نيشته) و«نسيان الكينونة» (هيدغير)

أ - نيتشه : - يثير سوء الفهم بلا توقف ونحن لا نتوقف عن الحديث عنه. مثيرا للجدل يمينا ويسارا (3)

2) «العلم المرح» VIII 140.139

3) تكريس للتسيد والتمرد F.Laruelle : **Nietzsche contre Heidegger**

– وهو، إلى جانب كيركقارد، صورة نموذجية أسطورية على عتبة العصر الحديث لا يمكن تجاهلها لمن يبغي معرفة الحقيقة لكن عليه دفع ضريبة الإقتداء بها : «حالة شاذة» متميزة. انتبه بنباهة إلى المشكلة كيف أحيا والآلام لا تقهر»، لا خروج من هذه المتاهة إلا بهذا : «الإله قد مات» ومع ذلك يجب الاستمرار في الحياة : ذلك هو القدر المحتوم : من المحال تحقيق الذات. فالإنسان ليس حرا بما فيه الكفاية : متطلب وجودي لكنه عاجز عن تحقيق ذلك. أن تكون إنسانا أن تتحمل مسؤولية وجودة وأن تتجاوز ذلك : «لا يوجد الإنسان حيث ما هو بل حيث ما ليس هو» (سارتر) "Je ne suis pas ce que je suis, je suis ce que je ne suis pas" الإنسان عليه أن يولّد ذاته، الخلق الذاتي للإنسان وأن ينتزع عن ذاته كل ما هو ذاته : معنى الإنسان الأعلى : خالق لتاريخه، متجاوزا ما هو كائن، رافضا ما هو عليه.

علينا الآن أن نواجه سوء الفهم المتعدد والأخطاء التي حفت بعبارة «العدمية» لكي نستجيب حقا إلى «النداء» إلى صيحة نيتشه ونتجنب الركون إلى التشاؤم المزمن عندما يتعلق الأمر بتحليل واقعنا المحكوم عليه باللامعنى واللاجدوى وانعدام الوجود الحقيق للقيم. فنحن أمام فيلسوف فكّر جذريا بكل جوارحه في منزلة الإنسان. علينا إذن أن نلح «العدمية» ونخرقها ونتجاوزها إن نحن أردنا غرس الحرية في ذات الإنسان متعدين بذلك أسلوبه في الفضح والتعرية لـ «لأمر الواقع». فعبارة «عدمية» وباقي المفاهيم التي جاء بها نيتشه (العود الأبدي، الإنسان الأعلى وإرادة القوة) من العبارات التي كانت عرضة الاستعمالات السيئة والانزلاقات الخطيرة.

*** مفهوم إرادة القوة :**

يطلق نيتشه على العدمية المشروع الذي يقضي بنفي الحياة واحتقار الوجود ويحلل الأشكال الرئيسية للعدمية : الضغينة والوعي الفاسد والزهدية ( ) ويطلق اسم الروح الانتقامية على مجموع أشكال العدمية. لكن العدمية لا يمكن اختزالها في أشكالها النفسية (مع الملاحظ هنا أن أشكال العدمية عند نيتشه ليست بتحديدات نفسية)، ولا أيضا في الأحداث التاريخية أو التيارات الايديولوجية ولا كذلك في البنيات الميتافيزيقية. غير أن هيدغير يؤكد على هذه النقاط بقوله : «العدمية تحرك التاريخ في أسلوب المسار الأساسي... فالعدمية ليست ظاهرة تاريخية من بين الظوهر أو تيار فكريا يلتقي في إطار التاريخ الغربي مع التيارات الفكرية الأخرى»(4).

إن روح الانتقام يُعبّرُ عنها بلا شك بيولوجيا ونفسيا وتاريخيا، والروح الانتقامية هي عبارة عن مبدأ يحكم حياتنا النفسية. فالضغينة ليست تعبيرة نفسية بل أن حياتنا النفسية برمتها ضغينة. فالمسيحية تطغى عليها الضغينة والوعي الفاسد في نظر نيتشه، لكنه لا يجع من العدمية حدثا تاريخيا بل يرى فيها محور التاريخ في حدّ ذاته ومحرّك التاريخ العام ويضفي «معنى على التاريخ» الذي يجد في المسيحية في لحظة محددة التمظهر الملائم وبالأحرى أدق تمظهراته. وعندما يشن نيتشه نقده على الميتافيزيقا فهو يجعل من العدمية المقدمة المسلمة لكل ميتافيزيقا وليس مجرّد تعبير عن ميتافيزيقا خاصة : فلا وجود لميتافيزيقا لا تحكم على الوجود وتحتقره تحت عنوان راية عالم المعقولات. فال نقول بأن العدمة وأشكالكها مقولات للفكر لأن مقولات كتفكير معقول وكهوية وكسببية وكغائية تفترض بذاتها تأويلات للقوة، قوة الضغينة.

---

4) «دروب لا تؤدي» Le mot de Nietzsche Dieu est mort Holzwege: tr, fr Arguments n°15

لهذه الأسباب مجتمعة يقول نيتشه : «إن غريزة الانتقام تملكت البشرية بشكل عبر العصور إلى حدّ أن كل الحياة النفسية والميتافيزيقا والتاريخ وعلى وجه التحديد الأخلاق باءت مصطبغة بها؛ ففي اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان في التفكير في الأشياء فانه يستدخل جرثومة الانتقام(5).»

فالمقصود بقوله هذا هو أن روح الانتقام هم المحور الجينيالوجي لتفكيرنا نحن والمبدأ المتعالي لأسلوبنا في التفكير.

إن نضال نيتشه ضد العدمية وروح الانتقام يعني به قلب الميتافيزيقا ونهاية التاريخ كتاريخ للإنسان وتحويلا للعلوم. وفي واقع الأمر نحن لا ندرك بالضبط ما عسى أن يكون عليه الإنسان بغير ضغينة؟ فهل هو إنسان آخر يشبه الإنسان الأعلى ؟ أن تكون لنا ضغينة أو أن لا تكون، لا يوجد فرق كبير ما بعد علم النفس، ما بعد التاريخ، ما بعد الميتافيزيقا الفارق الحق يكمن في النمطية المتعالية، الفارق الجينالوجي والتراتبي. فالهدف من الفلسفة في نظر نيتشه هو تحرير الفكر من العدمية ومن أشكالها. وهذا أمر يتطلب أسلوبا جديدا : «التحول الجذري» (Transmutation).

فلقد تعودنا التفكير بروح الانتقام والضغينة ولم يكن لدينا سوى التزهد منذ الماضي السحيق، لقد عارضنا بين المعرفة والحياة لكي نحكم على الحياة ونجعل منها شيئا مذنبا ومسؤولا ومخطئا وجعلنا من الإرادة شئنا بذيئا مشوبة بتناقض متأصل فيها ونقول علينا تصحيحها وإلجامها والحدّ منها ولم لا دحضها وإلغائها. فلم تكن طيبة إلا بدفع هذا الثمن.

فالفيلسوف الذي يكتشف جوهر الإرادة نراه يئن من جراء اكتشافه ويتنبأ وهو يرتعش خوفا بمستقبل مشؤوم ومصدر كل المآسي في الماضي. فشوبنهور يسير بهذا التصور القديم إلى أبعد نتائجه : سجن الإرادة والمقصلة. لكن نيتشه وحده الذي لا يئن تحت وطأة اكتشافه للإرادة التي لا يسعى إلى إقصائها ووضع حدّ لها. «أن نفكر بطريقة جديدة». يعني هذا : الفكر الموجب، الفكر الذي يؤكد الحياة وإرادة الحياة. الفكر الذي يقصي كل نفي. الاعتقاد في براءة المستقبل والماضي، الاعتقاد في العود الأبدي. فلا الوجود الآثم ولا الإرادة الآثمة بغيتا الوجود، وهذا ما يطلق عليه نيتشه : «الرسالة المرحة» «الإرادة : هكذا يسمى المحرر ورسول الفرح»(6) فالرسالة المرحة هي الفكر المأساوي لأن المأساوي ليس في محاكمة الضغينة أو في صراع الوعي الفاسد ولا في تناقضات الإرادة التي تشعر بالذنب والمسؤولية، فالمأساوي ليس في مقاومة الضغينة والوعي الفاسد والعدمية. هناك سوء فهم للمأساوي في نظر نيتشه : المأساوي : المرح، طريقة أخرى في طرح المعادلة الكبرى : أن نريد = أن نخلق.

فالمأساوي إيجابية خالصة ومتعددة، فرحة حية، والمأساوي تأكيد وإثبات لانه يثبت الصدفة ومن الصدفة الضرورة، لأن الإثبات هو إثبات للصيرورة ومنها الكينونة، لأن الإثبات هو إثبات التعدد ومنه الواحد. المأساوي هو ضربة النرد. وما سواه عدمية، مرض اسمه الجدل المسيحية، كاريكاتور المأساوي، مهزلة الوعي الفاسد.

ما ينقص فلاسفة أمثال كيركقارد وباسكال وتستوف الذين قاربوا المأساوي هو أن يقوموا بذلك بمعنى الإثبات ومعنى الخارج والبراءة واللعب. لأنهم في التفلسف كانوا في حاجة إلى مدخرات

---

5) «إرادة القوة»، 458 III, VP

6) «زارادشت»، (Z, II, de la redemption)

الحياة الداخلية والقلق والأنين والإحساس بالذنب (التأثم) وكل أشكال عدم الرضى فهم يتحركون بدافع الضغينة وتحت رايتها : «ابراهيم» و«أيوب».

ففي السعادة نبدأ ونحن في كامل النضج الرجولي وفي حرقة الغبطة اللازمة للكهولة والانتصارية، من باسكال إلى كيركقارد : نراهن ونقفز. لا يتعلق الأمر هنا بتمارين خاصة بديونيزوس (Dionysos) أو زاردشت (Zarathoustra) : أن نقفز لا يعني أن نرقص وأن نراهن لا يعني أن نلعب، فاللاعب الرديء هو ا لذي يراهن والبهلوان هو الذي يقفز ويعتقد في قفزه أنه يتعدى ويتجاوز.

فالرهان (باسكال) ضد الصدفة لانه لكه احتمال، له ما يعادله في الربح والخسارة فبغير معنى وبغير جدوى أن نبحث في ما إذا كان هذا الرهان لاهوتيا أو تمجيديا إذ هو لا يخص وجود اللّه أو عدم وجوده كما يظن هذا الفيلسوف وإنما هو رهان أنتربولوجي يخص الإنسان ولا يخص الإله : إنه ضد المسيح والكاووس. يشخص نيتشه - مثل الطبيب -جرثومة الضغينة التي تنخر جسد الحضارة والكون.

«الاختراق UBRIS هو حجر الزاوية عند الفيلسوف هيرقليطس. هكذا يتبين إن كان قد فهم أستاذه وتجاهله». فالضغينة والوعي الفاسد والزهد والعدمية هي حجر الزاوية لكل نيتشوي. ههنا يثبت إن كان قد فهم المعنى الحقيقي للمأساوي أو لم يفهمه.

* نموذج الإنسان الكلي الذي يبغيه نيتشه ليس الإنسان المبتور الذي يترك العنان للجسد والغرائز مثله مثل الحيوان. فهو ليس بالإنسان المجرد من ا لدماغ بل هو ذلك الإنسان الذي يحدث البديل للإنسانية المتمثل في عود الإنسانية على ذاتها فيكون الإنسان بموجبه معترفا بانعدام قيمته إزاء المثل وعالم الميتافيزيقا عندها فقط يرتقي إلى الوعي الكامل بسيادته على العالم.

* **الانسان الأعلى :** مدمر ومبدع، استكمال للتطور الروحي للبشرية خاصيتان للإنسان الأعلى : وتحمل مسؤولية كونه كائن متناه وإظهار الخاصية المأساوية للوجود. فهو بديل للإله. بعد إعلان موت الإله إما الانغماس في هوة العدمية مرادفة للعبثية والموت وإما محل الإله (الخالق) بتحديد ماهية الإنسان كمبدع كفنان.

فليس للإنسان طبيعة أزلية وتحديد مسبق أو ماهية بل هو كائن دائم الصيرورة. نهاية المذهب الإنساني وموت الذات. «التفكيكية النيتشوية» (دريدا هدم الأفكار التي تقول بالتقدم والإنسانوية والهوية الثقافية الألمانية والأوروبية).

«إن ما يسمح لفيلسوف ما بأن يكون عدميا هو كونه يجد العدم وراء كل المثل العليا للإنسان أو بالأحرى ليس العدم بل السطحية والعبثية والمرض والبشاعة والإرهاق كل الثمالة في كوب مفرغ الحياة».(7).

* ليس من الممكن أن نحيا على نحو أن نعايش الحقيقة، «وإرادة الحقيقة» هو عارض، مرض يشير إلى الانحلال».(8).

«ما أضيق العمر لولا فسحة الفن» ينتهي هيدغر إلى تأويل ميتافيزيقي وعدمي لفلسفة نيتشه. التجاوز هو مجرد قلب للأفلاطونية مؤد إلى سوء فهم قام به هيدغر : في نظر نيتشه يكون الفن،

7) «أقول الاصنام» 32.
8) («نيتشه» : هيدغر ج 1 3687 XIV)

في عالم تعمه الفوضى، أكثر حقيقة من الفلسفة لانه أكثر تلائما مع الواقع الخالي من كل القواعد.

* الإنسان الأعلى ضد الجدل : العدمية : في العدمية نجد العدم : اللاكائن Nihilisme-Nihil: اللاكائن non etre. فالحياة تأخذ قيمة العدم بقدر ما نحن نقوم بعملية النفي للحياة واحتقارها : فالتحقير يفترض دائما الخيال الذي بموجبه نزوّر ونقلل من شأن الأشياء فتصبح الحياة كلها وهما، لا واقعا ونتمثلها كظواهر وتأخذ برمتها قيمة العدم. إن فكرة عالم آخروي، عالم خارج عن المحسوس بكل أشكاله (الإله، الماهية، الخير، الحق...) وفكرة القيم العليا فوق الحياة ليس مجرد مثال بل هو المحور الأساس لكل وهم. فالقيم السامية على الحياة مرتبطة بنتائجها : احتقار الحياة ونفي العالم تقودها إرادة، ارادة التسامي وارادة النفي وارادة التعديم. يقول شوبنهور «عدم الارادة» فهو مفهوم عارض يقصد به إرادة معدمة وتعديم لكن نيتشه يرى أن تبقى الارادة.

Nihil في Nililisme يعني النفي كخاصية لإرادة القوة في المدلول الأصلي : العدمية تعني : قيمة العدم التي تأخذها الحياة. تأخذ الحياة قيمة العدم ووهم القيم السامية، إرادة العدم التي تتجسد في القيم السامية.

في المدلول المتداول والعام : لا تعني الإرادة بل ردة الفعل نحن نرد الفعل ضد العالم العلوي وضد القيم العليا والسامية وننفي وجودها وننزع عنها كل صلاحية (مصداقية). تحقير لا من أجل قيم سامية بل تحقير القيم ذاتها. فالتحقير لم يعد يعني قيمة العدم التي تأخذها الحياة بل عدم القيم، القيم السامية.

- لا شيء خلف السار، «للأشياء خاصية العدم، اللاشيء» إن العدمي ينفي الإله والخير والحق، لا شيء خير، الإله قد مات. عدم الإرادة ليست مجرد عارض لإرادة العدم بل نفي للإرادة : بدل A toi Dieu taedium نقول ونهلل ونكبر تكبيرا بالحياة. تزول كل ارادة للإنسان وللأرضي : «الثلج يغمر الكل، الحياة هنا صامتة، نسمع آخر أصوات Corneille الغربان : ما الجدوى ؟ لا شيء ينمو هنا»(9).

* والمدلول الثاني هو المعتاد وهو مشتق من المدلول الأول ويفترضه. كنّا في المدلول الأول نحتقر الحياة من علياء القيم السامية، نحتقر الحياة تحت عنوان القيم. هنا في المدلول الثاني وعلى العكس نبقى وحيدين مع الحياة لكنها حياة محتقرة تتواصل في عالم خال من القيم ومن كل معنى أو هدف، تدور أبدا إلى بعيد نحو عدمها الخاص. في الأول كنا نعارض بين الماهية (الجوهر) والظاهر ونجعل من الحياة مظهرا أو شبحا. الآن أصبحنا ننفي الماهية لكننا نبقى على الظاهر : كل شيء ظاهري والحياة التي بقيت لنا هي لذاتها ظاهرة.

* إن المعنى الأول للعدمية يجد مبدأه في الإرادة في نفي كل إرادة قوة وفي المعنى الثاني «تشاؤم الضعفاء» يجد مبدأه في الحياة كردة فعل تعيش الوحدة والعراء في ظل القوي الفاعلة المختزلة في ذاتها. فالمعنى الأول يعطينا العدمية السالبة وفي الثاني نجد العدمية الانفعالية (ردة الفعل)(10).

---

9) «أصل الأخلاق وفصلها» : نيتشه GM, III, 26

10) قولة ص 173 Deleuze **Nietzsche et la philosophie**

أ) أعراض أزمة العدمية : (نيتشه)

١- الانحلال

* «العدمية الاروبية» : «غنية بالمثيرات والمنبهات : تزوير المثل أو روح الفكر، مناخ مقرف ومتعفن مشحون بالأكاذيب والانتشاء الخاطئ الذي نتنفسه في كل مكان»(11).

* المؤسسات البرجوازية مكسوة بالنفاق، نتاجات الأخلاق مثل الزواج والعمل والمهنة والوطن والأسرة والنظام والحقوق، كلها حاجيات صالحة لنوع من البشر الرديء ضد الامتياز وحاجات الامتياز. فمن المشروع لهم كل المشروعية بأن يبالغوا في الكذب(12).

يترك انحسار الدين (حالة الزجر) وراءه المياه الراكدة، والمستنقعات، والأمم تتناحر من جديد وتبحث عن الكيفية في دحر الآخر. والعلوم المتقدمة إلى أبعد الحدود دون وعي تجعل من المعتقدات الراسخة تنحل وتنشظى والطبقات المستنيرة والدول المتحضرة يجرفها تيار الأعمال اللامبالية، إنه عصر يفتقر إلى المحبّة والطيبة، والأوساط المثقفة ليست سوى مناورات أو ملاذات. في دوامة الطموحات المحسوسة شيئا فشيئا يعيش المثقفون حالة من عدم الاستقرار خاوية من الأفكار ومن المحبة. كلّ شيء أصبح في خدمة الوحشية الداهمة. كل شيء حتى الفنّ وحتى العلم.(13)

* تسيب الفكر الحديث وتنكره الأخلاقي : التسامح («عدم القدرة على قول نعم أو لا») سعة التعاطف (ثلث لا مبال وثلث فضولي وثلث قابل للإثارة بصورة مرضية)؛ «الموضوعية» (ضعف في الشخصية نقص في الإرادة، عدم القدرة على المحبّة)؛ «الحرية» ضدّ القاعدة (اللارومنطقية)؛ «الحقيقة» ضدّ التزوير والكذب (النزعة الطبيعية)؛ «الروح العلمية» «الوثيقة البشرية»؛ (بالألمانية، القصة المطولة أو الترصيف بدل التأليف) الانفعال la passion أي الفوضى واللاقياس؛ «العمق» أي اختلاط الأمور وفوضى الرموز(14).

* **الفهم الجيّد** : انشغال ظواهر الانحلال والمرض في كل نظام الأحكام القيمية (الانحلال هو ذاته المنتصر في الأحكام المهيمنة) النضال ضدّ استتباعات الانحلال من بؤس في القديم وفي الحديث. ضياع جماعي جعل البشرية تفقد غرائزها الأصلية، انحلال عام في تحقير القيم، تلك هي نقطة التساؤل التي يثيرها الإنسان الحيوان في نفس الفيلسوف(15).

حول مفهوم الانحلال : (Decadence)

1- الريبية هي نتيجة الانحلال كما الشأن بالنسبة لتسيّب الفكر.

2- فساد العادات هو نتيجة الانحلال (ضعف الإرادة، الحاجة إلى منبهات حادّة...)

3- العلاجات النفسية والأخلاقية لا تغير في شيء من سير الانحلال وتقف ضدّه لأنها تساوي الصفر من الناحية الفيزيولوجية. أن نفهم عدم جدوى «ردود أفعالنا»، إنها مجرد مخدرات تحمينا من المصائب الكبرى، إنها لا تزيل الأسباب الممرضة، ما هي إلا محاورات بطولية لمحايدة الإنسان المنحل والحدّ من مضاره.

4- العدمية ليست سببا بل هي نتيجة منطقية للانحلال.

ب) هيدغر : خلاف حول نهاية «قراءة هيدغرية لنيتشه : خاصيتان في فكر نيتشه

11) «أصل الأخلاق وفصلها» 199 p 26

12) «القوة» tI, 473/345

13) «تأملات... considerations» : III, S4, p.64

14) «القوة» p53-54 S130, t, II, Liv III

15) «القوة» t, II, Liv III p157

1/ الأولوية للصيرورة كمحسوس عن طريق الانقلاب النيتشوي للأفلاطون حول الكينونة. (L'etre) التي نسي نيتشه التساؤل حولها، إذن أولوية للقوى المنتجة. التقنية والرأسمالية بالنسبة لعلاقات السلطة.
2/ عودة الكينونة عند انحلالها وفي شكلها كوجود فعلي وجوهري : السلطة مختزلة في السلطة المهيمنة.
تمشيا مع مبدأ سوء التفاهم بين ا لفيلسوفين يمسك هيدغر بالحرية العامة لفكر نيتشه لكن ليس من حيث محتواه المادي والعلاقات الواقعية. للمسك بالتركيبات النيتشوية للتعارضات الأفلاطونية يمكن معارضة هذه الاطروحات :
1/يؤكد نيتشه على السيادة لا على الأولوية للصيرورة : فالصيرورة قد تغيرت بنيتها وتغير مفهومها فلم تعد تعني المحسوس الجسدي، المادية الميتافيزيقية أو المفهوم الايديولوجي للمادة بل المادية الآلية التي تشتغل ضد كل تمثيل. وعلاقة الصيرورة بالكينونة تتغير كذلك. فلم يعد الأمر يتعلق بإبدال سيادة قديمة بأخرى، سيادة المحسوس بدل الفكرة (المثل)، لم تعد تعني التمرّد الانفعالي لمنظمة خاضعة بل سببا ماديا محايثا للكينونة بدل القول بحضور الموجود كما تصوره هيدغر La differance، سيادة تأسيس عملية بسيطة في الانقلاب : إن وجد انقلاب وهو بالفعل موجود فهو نتيجة لإثبات الكينونة بـ أو كـ differance أي شرط داخل الإثبات الذي يقدر على إخضاع قوى التعارض والسالب وجعلها تتقارع في ما بينها.
2- تعود الكينونة كوجود جديد كسلطة وتعود كـ علاقة تناتج (تركيب ثان) كـ إعفاء من الظهور الموضوعي المتحرر من الموجود - الواحد والحضور : جسد العلاقات بين الأعضاء Apparance الجزئية للسلطة : ملمح أو عرض لانفتاح يتضمن نقدا (حجب فاحتياط فموت). بفضل استعراض الكينونة من أجل الآخر إلى الكينونة لا مجال للموجود-الموضوع بأن يمرّ، لقد خضعت الكينونة إلى الصرامة La differance التي تلمّعها وتختفي وراء أفق الإدراك.
ب) كيف يصح لنا عدم الاتفاق مع هيدغر : قلب الأفلاطونية لا يلغيها بل يعززها. إن فكر نيتشه لا يشتغل بعملية القلب بل بإعادة كتابة أو بتحويل تركيبي.
Le trans في عبارة trans-valuation لا يجد فهما صحيحا عند هيدغر. فهو «يشير إلى الخاصية العامة للحركة المضادة للعدمية داخل العدمية»(1.32) يشاهد هيدغر الحركة المعقدة فيجانب المعنى : إن نيتشه لا يوجّه العدمية ضد نفسها ولا ينجزها ويتمّمها إلا أنّه يضمن فعليا الحركة ضد التحقير (النفي) في الإثبات بوصفه المحرك الأساس للعملية.

II - : دلالات العدمية والتجاوز عند ميشال فوكو(16) :

أ- للعدمية دلالات ثلاث :

1/ نسبية القيم : لا وجود لخير أسمى. هل هذا يعني أن فوكو عدمي؟ بلا شك.

2/ رفض الخلق لقيم عليا؟ الإله قد مات. لا مجال للبحث له عن بديل. بهذا المعنى هو عدمي؟ بلا شك.

3/ سلطان الذاتية المطلقة، ضياع العالم، وجود خارج الكون. بهذا المعنى الثالث هل أن فوكو

Andre Glucksman(16

عدمي؟ نعم ولا. إن فوكو فيلسوف خارج العالم لكنه لا يدافع عن ذاتية مطلقة. يدعونا فوكو إلى معاودة السؤال حول المدلول الثالث للعدمية.

إن مسألة العدمية تطرح على فوكو كما لو كان ماثلا أمام المحكمة. ندين لفوكو بالرجوع إلى الاثيقا وبالمناسبة بالرجوع إلى العدمية. لقد عوّدنا فوكو كيف نقلب ما يبدو سلبيا إلى ما هو ايجابي. يرى فوكو أن العدمية في المدلولين الأولين ليست مضادة للأخلاق ولا خالية من الأخلاق بل إن العدمية هي شرط الاثيقا اليوم.

في مركز المشكلة الأخلاقية يوجد ما هو غير مقبول أو «ما لا يطاق» (L'intolerable) هذا ليس ميزة أي شخص محدّدا أو بلد ما أو أمة محدّدة بل هو معطى أولي يسبق وجود أي بلد أوروبي كان. فالمحرقة (Auschwitz) أو الابادة البشرية الجماعية نجدها منذ «الالياذة» : سقوط طروادة أو أول ابادة في الفكر الغربي.

* **فالمدلول الأول للعدمية :** نسبية القيم ليس سمة تشخص فوكو، يجب أن نتذكر المناخ الانسانوي المضاد السائد في الستينات. إن الانسانوية المضادة تعود إلى أندري جيد أو جان بول سارتر فهي لا تدل على التعارض الدائم مع انسانوية دائمة بل مع انسانوية محددة موجودة في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20. فهي انسانوية ايجابية تهب الإنسان الأوروبي معرفة تتعلق بالقيم العليا بالنسبة لكتّاب مثل جيد أو سارتر أو فوكو. هذه المعرفة المزعومة أحدثت آثارا من شأنها أن تغض النظر عن الاستعمار والفاشية والمحتشدات السطالينية. لكن الالتزام لا يشمل الفكرة الايجابية للخير بل يتعلق بما هو غير مقبول (ما لا يطاق) L'intolerable الذي كان في أساس قضايا مثل قضية Callas وقضية دريفوس (Dreyfus).

يعارض فوكو إذن بين أخلاق حالة الطوارئ التي تعالج حالة حالة «ما لا يطاق» من ناحية أخرى الأخلاق البنّاءة التي تجد حلاً لكل معضلة بصورة نهائية.

كما أن حقوق الإنسان 1793 لا تدرك إلا بالرجوع إلى صورة الاستبداد المعاصر. فالشيء المؤلم وتجربة الجور المؤلمة للمرض أو للنشر هي شرط المعرفة والنظام العقلي «ما لا يطاق» ما هو غير مباح يتضمن تأويلات عديدة.

- بين الحدس والعقل
- متعلق بالأجهزة (دولوز)
- طبقات المحارم (ستراوس) : تحريم النكاح مع ذوي القربى يؤسس المجتمعات.
- مسألة الفلسفة تتعلق باللاكائن (العدم) وليس بالكائن («السفسطائي» لأفلاطون)

* **المدلول الثاني للعدمية :** القلب هنا كذلك ممكن. بما أن الإنسان لا يضع بديلا عن الإله فإن الفعل الأخلاقي ممكن بالقياس نظرا إلى أن الإنسان يدرك ما لا يطاق قبل معرفة ما هو المجتمع الفاضل فإن الفعل الأخلاقي ممكن وله موضوع : مقاومة ما لا يطاق.

الحجة المضادة هي هيدغر الذي يحلل التقنية كإبداع شبه الإلهي لعالم مضاد، فالتقنية تجعل الفعل الأخلاقي غير ممكن. فوكو له رأي مخالف حول التقنية. فهي غير مختزلة في السيطرة على الطبيعة أو في التريبض الحديث لعلوم الطبيعة. فلها وضعها الحقيقي الخاص. فالاستراتيجيات ليست مجرد هيمنة ومجرد تطبيق ومجرد هدم. ففي نظر فوكو إن التقنية هي ستراتيجية ومبارة في

حين تكون صراعا أو هيمنة على الطبيعة في نظر هيدغر فلا يجب أن نغفل مقاومة فوكو لهيدغر أو أن نجهل الرفض المشترك لمركزية الإنسان لكي نقول بالتماثل بين الفيلسوفين. إن فوكو يدرك وجود فعل أخلاقي الشيء الذي يرفضه هيدغر.

* **المدلول الثالث للعدمية :** سلطان الذاتية المطلقة واندثار الكينونة في العالم، وضع الانسان الحديث خارج العالم. كتابات فوكو الأخيرة (1) ماذا تضيف ؟

3 اتجاهات لفهم العدمية : التومائيون أو نظرة Leo Strauss(17) : يتمثل هذا الاتجاه في الفصل بين الحداثة من ناحية والقرون الوسطى والعهد القديم من ناحية أخرى فالحق الذاتي يتعارض مع الحق الموضوعي أو الطبيعي. كما يمكن أن نفهم العدمية كقطيعة بين العالم المسيحي (نيتشه) أو العالم المحطم (هيدغر) من ناحية والعالم اليوناني من ناحية أخرى.

إذا أردنا الاعتماد على تحليل فوكو يجب قلب الصورة : ليس التعارض بين المسيحية واليونان واللاتين بل بين ضربين من الاروتيقية الاروتيقية الثنائية (استعمال الملذات) واروتيقية أحادية (نصوص Plutarque). فمن منظور العدمية إن التعارض يحدث حرجا : الذات المطلقة التي نفت العالم تجد نفسها في الاروتيقية الثانية إن فوكو بهذا التحليل لا يدحض نيتشه أو هيدغر بل يطرح السؤال من جديد بصورة كاملة.

إن الكتابين الأخيرين لفوكو يفضيان إلى إعادة تأويل الفكر العدمي يجب أن نعترف :

1) بأن نسبة القيم هي الشرط في إدراك «ما لا يطاق» وبالتالي للفعل الأخلاقي.

2)وأن عدم خلق قيم مطلقة هو أيضا شرط الفعل الأخلاقي.

3) وأن عدم وجود عالم يحيط بنا ويلفّنا ويحمينا هو أيضا شرط الاثيقا.

إن إمكان الاثيقا لا يوجد في الاروتيقية رقم 2 الواحدية بل في الاروتيقية رقم 1 التي تترك المجال اللاتناظر واللاتوازن والاحراجات والمجال بوصفها موضوعا لكل التزام.

ب) تجاوز العدمية (فوكو) أو نهايتها(18)

شبح العدمية يخيّم على أروبا وعلى حياة فوكو في تطورها، على طفولة ساذجة وغامضة وشباب غاضب ومرير وعلى كهولة شجاعة مليئة بالضحك السعيد.

نطلق على العدمية الفترات التاريخية عندما يشعر المفكرون فيها بأن الحقائق ليست كذلك وهي بغير أسس، فالعصر الذي نعيش بلغ درجة من الوعي بحيث يسمي الأشياء باسمها. فالأسطورة هي الأسطورة. لا جدوى من أن نبني واقعنا على أوهام. فالمركزية الأوروبية أو الغربية وهم والقول بالنسبية أمر موجع للكثير. إن تعدد الحضارات وتنوّعها مؤشر للانحطاط في رأي الفلاسفة فالقلق موجود على صعيد الفكر يسمى التاريخانية والنسبوية. لكن هذا القلق مزيف لأن نفس الفلاسفة لهم أفكار ثابتة حول التمييز العنصري وحقوق الانسان وحتى في اختياراتهم للحكومات. الموقف إذن أن نتعوّد على العيش بغير أسس أو ثوابت وعلى أن لا نعتقد في وجود حقيقة.

---

17) Leo Strauss

18) Paul Veyne

* فكيف الخروج من العدمية؟ هل بالبحث عن طريق يجعلنا نثق في أنفسنا؟ كلاّ لكن بالتخلص من فكرة مسبقة يكلفنا غاليا، ألا وهي فكرة الزمن.

إن معاناة التاريخانية تتمثل في الاستمرار في الاعتقاد بالتعارض بين الزمن والأزل لكن ما يتعارض معهما الاثنين هو الراهن الذي نعيشه كقيمة، فالماضي حاضر في الماضي لانه لم يشهد تأويلاتنا وقيمنا. فالراهن لا يتعارض مع الخاطئ بل مع ما هو بال (متهرئ) وما النسبوية إلا لحظة من لحظات التعفن.

فالخروج من العدمية لا يتم إلا عندما نفكر فيه بهدوء يذكرنا بنيتشه وفوكو في آخر أعماله. فالخروج منه لا يتم إلا إذا تدربنا على مقاومة العدمية السالبة والعدمية السالبة الانفعالية أو الضغينة، ضرورة التهكم الذاتي وفقدان القيم بتنمية القيم الخلقية والفن في درجته الدنيا أو ثقافة الدهاليز.

الطمأنينة بغير خوف أمام القول بموت الإله (نيتشه) كذلك الأمر اليوم بالنسبة للقول بموت الحقيقة الذي يحدث نفس الفزع الذي أحدثته المثالية في القرن التاسع عشر. ومع فوكو نعيش حالة عدم اليقين: «هذا ليس بالصدق وليس الخاطئ» من منّا يستطيع أن يأتي بالقول اليقين في شأن الديمقراطية؟ لا إجابة شافية وغاية ما في الأمر هو أن نعرف ماذا نريد في هذا الميدان لا أكثر ولا أقل. فالطمأنينة تفترض أيضا حالة من الاستعداد والتقبل لكل أفكار الماضي البالية. فنحن نذكر التزاماته وتدخلاته في القضايا الراهنة كما نتذكر شغفه وتعاطفه مع الحلم والجنون وكذلك المواقف والمذاهب الغريبة والمفزعة في الماضي والحاضر. كان يشعر فوكو بضرب من السعادة الرواقية الصامدة أمام غيرية الحقائق الموروثة، فالميتافيزيقا خرافة ولا فائدة في عرضها وضرورة مفهمة وجودنا المتناهي لأننا نعيشه ونعيش موت الميتافيزيقا وموت ا لحقيقة دون وعي فالتأسيس محال ولا مجال لتأسيس القواعد، فهو لا يستند إلى الطبيعة أو إلى العقل ولا يعود إلى الوظيفة أو الماهية أو التذاوت.

فهل هذا دليل على العجز؟ فعصر التأسيس قد ولّى مع كانط إلى حدّ هوسرل، الخروج من عصر الانتربولوجيا.

إذا كانت الفلسفة غير قادرة على التأسيس توجب علينا العيش وإرادة ما نريد دون البحث عن مبررات. فالفلسفة الانتروبولوجية تتساءل وتقول: «كيف نؤسس»؟ وموقف فوكو يكون: «أن نستنبط النتائج من استحالة التأسيس بإدراكنا أن هذا أمر غير مجد بقدر ما هو محال». صحيح إذن أن الديمقراطية لا تؤسس كذلك الحقيقة لا تؤسس. الهيمنة وحدها تؤسس فالحرية كما حقوق الإنسان لا تؤسس بل نعلن عنها. فالحقوق تمارس كذلك الحرية.

فانعدام الأب هو انعدام الأساس. في الختام من أجل فهم «ما لا يطاق»، من أجل الأشياء الدائمة ومن أجل قول لما هو غير فلسفي.

خاتمة:

يرافق مشروع نيتشه للعدمية تحطيم الأخلاق وقبرها لكن قبر العدم «لحد العدم» «عدم القيم» من أجل أن يجعل من العالم أثرا فنيّا فهو الذي يعرف نفسه بالقول «أنا منحل وأنا بداية». ففي طيّات قوة الحرية البريئة وإرادة العدم تسكن الإتيقا. فالعدمية في نظره مزدوجة تكمن في «عارض الانحلال النهائي وقرف الوجود» من ناحية و «كعارض أول لنشوب القوة وانبعاث إرادة الوجود».

والخلق يشترط التدمير شأنه في ذلك شأن لهب هيرقليطس الأزلي يخترع من أجل الالتهاب (الالتهام) ويلتهم من أجل الإنتاج فهو الذي يقول في آن «نعم ولا» متعديا الثنائيات ومبشرا وناحتا لفلسفة المستقبل وإنسان الغد بمطرقته العملاقة. هل هذا ضرب من اليوطوبيا؟ هل من تعارض بين تشخيص العدمية في الانحلال والحطّ من القيم السامية وجبروت العبث وغياب الإجابة عن سؤال «ما الجدوى؟» (نيتشه) وقابلية الإنسان للاكتمال وموهبته في تنمية ذاته؟ فالعدمية التي تشمل كل الميادين التاريخ وعلم النفس والفلسفة قد حكمت علينا بالإدانة. إن هذا ا لمشروع يتحقق مع فوكو في قلب السالب إلى موجب في سيره في تشخيص ما لا يطاق وتحويل قيم العدمية إلى سلطة حيوية «إنّ حقيقة نيتشه تكمن في كونه يدفعنا إلى أن نذهب بعيدا بعيدا.»(19)

19) جان غرانيي: «فريدريك نيتشه»، **Encyclopaedia Universalis**

المراجع :

1- ألبير كامو «الإنسان المتمرّد»، زدني علما.

2- موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر : هيدجر، ليفي ستراوس، فوكو، عبدالرزاق الداوي، دار الطليعة بيروت 1992.

*Nietzsche : cité dans Foucault T_I : D.ERIBON P440-457 et Heidegger : Ibid p 440-457-490

* **M.Foucault : philosophe** : Rencontre internationale, Paris 9-10-11 janvier 1988, p 395 «le nihilisme de Michel Foucault» : A Glusksman.

* **Nietzsche** : Royaumont : Beaufret : «Le concept de valeur» p 245.

* G Deleuze / F Gauttari : qu'est-ce que la philosophie (conclusion)
  - **Foucault**
  - **Nietzsche et la philosophie**, PUF
  - **Nietzsche**, SUP

* André-Glusksman : **Les Maîtres Penseurs**

* Christian JAEDICKE : Thèse sur le Néantschez Nietzsche, Heidegger et Schopenhauer

* Paul Valadier : **«L'anarchie des valeurs»**

* Jacqueline Russ : **qui a peur du nihilisme** ?

* Magazine littéraire : «**Nietzsche contre le nihilisme**» n°383 janvier 2000.

* F. Laruelle : **Nietzsche contre Heidegger**

* The Internet Encyclopédia of Philosophy : Nihilism

* Claude Rochet : «Le nihilisme» (Webscope).

* Michel Besnier : **Histoire de la philosophie moderne et comptemporelle** (Heidegger p. 495-505).

* Leo APOSTEL : De la cohérence logique du nihilisme, Reseaux, Revue n°20-21, 1973 «Morale et Science».

* Yannick Beaubatie : **Le nihilisme et la morale de Nietzsche**, Découvrir 1994 (Bibliographie exhaustive p 439-595)